مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN2543-3857
ISSN :
المجلد 05 /العــدد: 2 (2021)،ص 427-445

التناص وتجلياته في مقال الابراهيمي

The training and manuals in the article in the elibrahimi

ط. د: قطاف جلول[1] ، أ.د: العابدي خضرة[2]
Dr : Labdi khadra [2] , Phd: Guettaf Djelloul[1]
[1] جامعة : احمد بن بلة وهران /الجزائر مخبر : السيميائيات وتحليل الخطاب pemar03guettaf@gmail.com
[2] جامعة : احمد بن بلة وهران /الجزائر مخبر : السيميائيات وتحليل الخطاب Labdi_k@yahoo.com
المؤلف المرسل: الاسم الكامل : ط.د: قطاف جلول الإيميل: pemar03guettaf@gmail.com

ملخص:
لعل القارئ لكتابات محمد البشير الابراهيمي يتفطن الى مدى القدرة العجيبة والمنفتحة على الاثار الادبية القديمة والحديثة ، وبرع في خياله الخصب الذي يؤلف بين النصوص جميعا ويربط بين حقائقها المفككة لإنتاج نصوص فريدة النسج، بعيدة السبك قل مثيلها في منهج الخطاب العربي المعاصر، وهو ما يصطلح عليه في منظومة النقد الغربي بالتناص، وهي نظرية متقدمة استطاعت بالياتها ان تصبح أداة لنقد أي نص من أي نوع كان على أساس أن الكاتب باستطاعته أن يفيد من معارف و تجارب الاخرين ،ليعيد انتاجها بشكل ابداعي جديد ،يجعل علاقة المتلقي بالنص علاقة وجود فلا يتحقق الا بذات قارئة تحمل قسطا من ثقافة ذات الكاتب تمكنها من التفاعل مع النص وحل شفراته. فالمتتبع لمقال الابراهيمي يجده أسيرا لنصوص تأثر بها بشكل أو باخر كالنص القرآني وغيره من النصوص .
كلمات مفتاحية: الابراهيمي .، المقال.، النص الاخر.، التناص.

Abstract:
Perhaps the reader of al bachir el ibrahimi a wuting, recagniges the extant of the ability of the wakeful and open minded antiquities of ancient and matern literacy. He excelled in his fertile imagination ,which composes. between all of his text ,it connects between its disjointed fact to produce a unique texts .that are far casting and far like it in the contemporary Arabic discourse approach ,this is what is termed in western criticism system as

intertextuality .it is an advanced theory that has could with it mechanisms to become a tool to criticize any text of any type , on the basis the writer can benefit from Knowles and experience of others ,to reproduce it in creative and new way which mashes the recipient s relations with the text a relation of assistance . that can not be achived only with a reader that carries a part of the witer s culture to anabas it to interact with the text to solve the blades because the observer of elibrahimi s articals will find him captivated by atext who was affected by in one way a a mother such as qouranic .

Keywords : elibrahimi ;the article; The other text; intertextuality.

1. مقدمة:

اختلفت الدّراسات النقدية العربية في تحديد مفهوم التناص، وإعطاء الجذور التأصيلية له، فهناك من يرى أنه مولود غربي ولا يمكن أن ينسب لغيره، وأما البعض الآخر فخرج عن حيز هذه الفكرة، وفتح الشهية للمعركة النقدية، من خلال العودة إلى جذور الثقافة العربية، رغبة في إيصال مفهوم التناص إلى نسبه الحقيقي، وأن ظهوره إلى الساحة الغربية لم يكن إلا عن طريق التبني، بحيث أعطت المحاولات النقدية التي احتكت بالموروث العربي القديم بوادر للتنقيب عنه، ومدى احتواء الوعي العربي على تجاوب العناصر الثلاثة للإتصال، والمتمثلة في المرسل والرسالة والمرسل إليه، وقد انصب ذلك على أدب الابراهيمي كموضوع للدراسة. لذا سنتعامل مع التناص في بحثنا هذا لا على أساس انه حقيقة ميتافيزيقية بل على أساس أنه بني على القصد والوعي من المنشئ الذي يريد من خلال تناصاته تحقيق رؤية ما في عمله الأدبي وإلا فهو لا يأتي به اعتباطاً بل لكي يضفي بعداً إضافيًا للنص ، لذا أثرت الإشكالية وهي: ما إمكانية إستغلال التناص كإجراء لإنارة النص المقالي في أدب الإبراهيمي.

2. مفهوم التناص: عُرّف التناص إصطلاحًا بأنه: "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في إستعادتها أو محاكاتها لنصوص –أو الأجزاء-من نصوص سابقة عليها" [1]

و عُرّف هذا المفهوم أيضا بأنه: "تفاعل النص في نص بعينه" ،و من أصناف التناص مايلي: الإستشهاد: و هو الشكل الصريح للتناص، و هذا المفهوم ينطبق على علوم القرآن الكريم كالعام و الخاص و المقيد.

و تعتمد دلالة التناص على إلغاء الحدود بين النص و النصوص الأخرى أو الواقع أو الشخصيات، فيصبح النص المركزي المتحدّث عنه غنيا بالمعاني و الدلالات.

و بالنسبة لدلالة التناص في الخطاب القرآني، هو أن يكون نصًا ما قرينة بتحديد المعنى في نص آخر، وهو بمثابة القرينة الدالة على ترجيح المعنى على غيره، و لعل هذا ما جعل إمام الحرمين الجويني يقول: "إن القرآن الكريم يعتبر نصا واحدا من فاتحته إلى خاتمته"، و هو ما ذهب إليه العلماء أن القرآن يفسر بعضه بعضا.

وعُدَّ التنـاص ضمن مباحث الإبداع في العمل الأدبي وعنصراً كاشفاً عن النص حيث تشكل علاقات التداخل النصي سمة من سمات اللغة الأدبية. لذلك سنسعى لتلمس مواضع التداخل النصيي للعمل الأدبي من أجل التعرف على مدى فاعلية وحيوية التناص ويتم هذا من خلال تحليل النص وتوضيح فاعلية التنـاص داخله وما هو الفرق بين نص يتناصّ مع نصوص أخرى ونص يخلو من التناص ، وقد يكون ثمة إعتراض على معيارية التنـاص إلا أن هدفنا من وراء ذلك هو دمج الممارسة النقدية التقليدية التي تستنير بالقواعد النقدية المعيارية والممارسة النقدية الحديثة .

3.تعريف المقال:

ـــــــ **لغة:** اشتقت كلمة (مقال) الفعل الثلاثي المعتل الوسط أقول الذي تقلب واوه ألفا أي (قال

وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل (قال) كقوله تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا "[2]

وصيغة المصدر (قول) كقوله عز وجل: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[3]

وتجمع المعاجم اللغوية العربية على أن المقال من الفعل قول: "قول، قال، يقول، قولًا وقالا وقيلا وقوله ومقالًا و مقالة تلفظ أي تكلم... المقالة القول أي القطعة من الكتاب[4]

ـــــــ **اصطلاحا:** قد تباين مفهوم المقال بين النقاد نظرًا لتشعبه وتداخله بنسب متفاوتة شكلًا ومضمونًا مع النثرية الأخرى كالخطابة والمقامة والرسالة والخاطرة والقصة مع انفراده واستقلاليته بخصائصه المميزة، ومن أجل إعطاء مقاربة بمفهوم فن المقال سنعرض بعضًا من التعاريف، حسب زوايا نظر مختلفة إذ نجد أن المقال .

"قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو جزء منه"[5]

بمعني أن المقال من أكثر الفنون الأدبية استيعابًا وشمولًا لشتى الموضوعات على إختلاف مجالاته السياسية والاجتماعية والثقافية والرياضية والعلمية والاقتصادية والدينية وغيرها.

والمقال من حيث المضمون والتسلسل المنطقي يحتوي على ما يريد الكاتب إيصاله للمتلقي من معلومات معتمدا خطة ما، فهو فكرة قبل كل شيء وموضوع فكرة واعية وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي على نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر". [6]

قد حاول محمد يوسف جم إعطاء تعريف جامع عن مفهوم المقال فاعتبره قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهف، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب" [7]

فصدق الكاتب إذن في التعبير هو معيار يتحكم في مصداقيته المقال .

4. أدب المقال عند الابراهيمي

1.4.المقال السياسي:

هي المقالة التي يعبر فيها صاحبها عن مشاعره و أحاسيسه اتجاه وطنه بهدف إيقاظ الشعب من الغفلة لمواجهة الوضع السياسي الذي آل إليه، فيتحدث مثلًا عن ممارسات نظام الحكم و دور الأحزاب السياسية في نقده، ويمكن للكاتب في بعض الأوقات أن يرسل إلى الحاكم رسالة مباشرة ليحل مشاكل الرعية، إذ ليس كل ما يكتب السياسية يسمع له

إن المقال السياسي يتطلب" نوعية خاصة من العاطفة الوطنية الصادقة و المضمون الوطني الحماسي الذي من شأنه أن يستنهض الهمم، ويؤكد الرأي الذي

يميل إليه كاتب المقالة و يدعو إلى الإصلاح السياسي و يشيد بالاستقرار السياسي" [8]

فمن حيث تميزه فهو يمتاز بالبعد عن التكلف باستعمال ألفاظ سهلة من أجل توضيح الفكرة و إثارة الحماس فيستند الكاتب إلى براهين و شواهد تاريخية .

فقد كتب في هذا النوع الكثير من الكتاب العرب فمن بينهم الإبراهيمي الذي تناول معظم الموضوعات في المجال إلى محورين أساسيين تتأرجح بين الاستعمار الغاشم و بين أصالة الشخصية الجزائرية ومن هنا يمكننا أن نحصر أهم القضايا التي عالجها الابراهيمي فيما يلي:

- حدوثنا عن العدل فإننا نسيناه؛
- حوادث 8 ماي؛
- أرحام تتعاطف ؛
- تصوير الفاجعة.

كتب الابراهيمي عدة مقالات سياسية متنوعة في الاستعمار الغاشم و في معاناة الشعب الجزائري فأجاد في تصوير الأحداث فنجد من أمثلة هذه المقالات نماذج مطولة فيدور معظمها حول مكائد الاستعمار و جرائمه منها ما يقول في مقالته (حدوثنا عن العدل فإننا نسيناه) في قوله إن الاستعمار غشاوة على الأبصار، ورين على البصائر، فهو كما يرمي فاعله بالعمى عن الحقائق، يرمي المبتلى به بالعمى عن المحاسن، فلو أن فرنسا خلعت ثوب الاستعمار، ومحت رسومه لزالت هذه الغشاوة عن بصرها فعرفت لنا حقوقنا، و لزالت عن أبصارنا فعرفنا لها محاسنها، ومادام الاستعمار فالرين على البصائر و الغشاوة على الأبصار، وليس في طبائع الأشياء غير هذا [9]

فالبشير الإبراهيمي هنا يصور حقيقة الاستعمار الفرنسي فهو يلبس ثوبا من الجرائم و المساوئ، إذ يسخر منه و يفضح أعماله الدنيئة تحت ثوب الاستعمار الذي ترتديه فرنسا، فيتمنى لو خلعت هذا الثوب لزالت هذه الغشاوة و هذا الكره و التشنيع عن بصرها فتعيد للشعب الجزائري حقوقه المسلوبة و خيراته المنهوبة.. [10]

فالشيخ الإبراهيمي يرجع اللوم ويصب العتاب على المستعمر الذي مات ضميره قلبه اتجاه الجزائري، فصور الكاتب أحداث جرمه تصويرًا واقعيًا موضوعيًا، و تحليلًا سياسيًا بارعًا لهذه الوقائع .

2.4. .المقال الإصلاحي:

يهدف الكاتب من خلال المقال الإصلاحي إلى إيقاظ الوعي، وذلك بإظهار رأيه الخاص في الموضوع المتناول، فقد عرف العالم العربي هذا النوع من المقال منذ بدايات النهضة لعدة أسباب أهمها:

انتشار الصحافة بكونها أسهل من الكتاب الذي لم يكن في متناول الجميع، وكذا شغف المؤلفون المصلحون بإبداء تغييرهم بحرية، وتعدد آراء المفكرين العرب حول المجتمع على التمسك بأصول الإسلام من الكتاب والسنة، وتزويده بالوعي و العلم في سبيل محاولة تغيير الأوضاع الخاطئة إلى الصواب، بالإضافة إلى مكافحة الفساد و المفسدين.

يقول تعالى " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "[11]

فقد أنفق الإبراهيمي جهودا عظيمة و أوقات طويلة، فكان مدرسًا و محاضرًا و خطيبًا و كاتبًا، فخلف إنتاجًا أدبيًا إصلاحيًا طبعا، فمن خلاله قطع الطريق في وجه أهل الظلال في الدين بما كشف من فساد المضلين فأنقذ الأمة من كثير فسادهم، غذا أعاد للإسلام صورته و أوضح للشعب حقيقته المشرقة، فمن أجل توضيح صور الإسلام خاض الإبراهيمي بمهاجمة الطرفين المفسدين الجزائريين، بل كان يتابع الطرفين أينما وجدت من بلاد المغرب العربي، فقد كتب مقالة بعنوان (أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين).

هاجم فيها أحد العلماء في تونس أفتى بجواز قراءة القرآن في الجنائز بأجرة كما كتب مقالة أخرى من عالم مغربي اسمه "عبد الحي كتابي" كان يزرع الفتن في المغرب الاقصى فيقول فيه "كان بلاء هذا الرجل محصورًا في محيط، ومقصورًا على قطر، كان إخواننا في المغرب يعالجون منه الداء العضال، وكنا نعد أنفسنا آثمين في السكوت عنه، وفي العقود عن نصرة إخواننا في دفع هذا البلاء الأزرق، فلما انتبهت عقولهم لكيده، وتفتحت عيونهم لمكره وتهاون عليه كواكب الرجم من كل جانب فبطل سحره، وقصرت رقاه عن الإستنزال، وظل سعيه، وقل رعيته ، انقلب استعمارًا محضا قائمًا بذاته، وهاج حقده على الأحرار

والسلفين فترصد أذاهم في الأنفس، الأموال و المصالح و أصبح كالعقرب، لا تلدغ إلا من يتحرك .

3.4.المقال الأدبي:

المقالات الأدبية من الأدب الإنشائي ينشؤها صاحبها بغية تصوير المشاعره و انطباعاته نحو بعض الأحداث أو المناضر أو القضايا أو المواقف و يأتي أسلوبه أدبيًا من أبرز خصائصه، العاطفة و الخيال و اللفظة الموحية بالمعنى و البديع و جمال العرض، و التأنق في المعنى و يعرفه بعض من الأدباء بأنه قالب من النشر الفني يعرض فيه موضوع ما عرضا متسلسلًا مترابطًا.

و المقال الأدبي تعبير فني صادق عن التجارب الكاتب الخاصة و الروائية التي تتركها انعكاسات الحياة في نفسه، وهي في أحسن حالاتها ضرب من الحديث الشخصي الأليف، و الثرثرة و المسامرة، و الاعتراف و البوح، ولكنها تمتاز إلى جانب ذلك بروعة المفاجأة و توقد الذكاء و تألف الفكاهة و لا تخلو من السخرية الناعمة أو الحادة، تبعا لاتجاه الكاتب و ألوان شخصيته .[12]

فنجد المقال المقال الأدبي يتميز بجملة من الخصائص منها:

- الإيجاز.
- ابتعاد عن استخدام الأرقام و المصطلحات العلمية، و اللغة الدارجة.
- التنوع في الأسلوب سواء كان الخيري أو الإنشائي.
- استعمال الصور و كذلك المحسنات البديعية التي تضفي على المقالة جمالا و تألقا.
- التعبير عن الرؤية الشخصية للكاتب و بهذا نجد أن الكاتب في هذا المقال يهدف للوصول إلى جمال التعبير مع استعماله لأغراض جمالية و بمعنى آخر إن كاتب المقال الأدبي يهدف إلى أغراض جمالية، ويتوخى درجة عالية من جمال التعبير كما يتوخاها الأديب الذي يرى الجمال غاية في ذاته و عرضا يسعى إلى تحقيقه[13]

وإذا ركزنا حديثنا عن خصوصية لغة البشير الإبراهيمي فحينها نكون قد تحدثنا عن شيئين متكاملين، فقد عرفته الثقافة و الأدب محاضرًا و خطيبًا فهو رجل قل نظيره في اللغة و البيان، حيث اتخذ من اللغة وسيلة راقية للتعبير عن فكر متحضر و بعد نظر و تبصر بالأمور[14]، فقد تميز بأسلوب تعبيري خاصة حينما

استخدم اللغة العربية كوسيلة أو كأداة للإسلام و بصفتها لغة رسمية اعتمدها المسلمين و أخذناه .
فكانت غاية الإبراهيمي من مقالاته إقناع السامعين بالدرجة الأولى لأن القراء هم المتأثرون بهذه المقالات، فمن يقرؤها يفهم النضال الإبراهيمي إزاء اللغة العربية و الوطن العربي الحبيب.

5. تجليات التناص في مقال الإبراهيمي:

1.5.التناص القرآني:

إن المتتبع لمقال الإبراهيمي، يجده أسيرًا لنصوص تأثر بها بشكل أو بأخر ومن هذه النصوص النص القرآني الذي تناص معه بشكل كبير ، جعل منه النص الغائب الأكثر استحواذا على ألفاظه ومعانيه وتأملاته . ذلك أن القرآن الكريم هو النص المقدس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرا ونثرا، ليخلق تشكيلا فنيا خاصا متناسق المقاطع تطمئن إليه الأسماع إلى الأفئدة في سهولة ويسر [15] .
وهو الكتاب المعجز الذي لا يزال يتحدى أساطين البلغاء، ومصاقيع العلماء كما يحمل بين دفتيه من أنواع العلوم والمعارف، وما يزخر به من عجائب و أسرار تبهر العقول وتحيّر الألباب . وهذا ما يفسر شغف الكاتب وحاجته إلى النهل والاقتباس من القرآن الكريم كرافد مهم يساعد على تقوية الحجج ودعم الشواهد التأثير في القارئ الذي لديه استعداد للتأثر بكل ما هو ديني. لذلك ألفينا تداخل نصوص هذا الرافد في مقال الإبراهيمي بكثافة لا محدودة مما يجعل الإحاطة بذكرها هنا أمرا عسيرًا من أجل ذلك ، سوف نقتصر على بعض التناصات التي لها علاقة مباشرة بأدب المقاومة.
وهو ما يسمح لنا برصد نصوص متعددة مقالية تفاعلت مع النص القرآني و استنصصت آياته عبر تفجير طاقاتها الكامنة وامتصاصها واخراجها ضمن سياقات شعورية ونفسية وفكرية جديدة، تتسق مع الأغراض والدوافع التي حفزت الكاتب إلى هذه التناصات.
ومن النماذج التي استحضرت النص القرآني وأفادت منه فنيا قول الإبراهيمي:
"زين للاستعمار سوء عمله فطغى وبغي ، وكفر و علي ،و أتي من الشر ما أتي. " [16] .
فالكاتب يستحضر دوال الآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ » [17] ..وهو

تداخل لغوي لألفاظ الآية مع النص المقالي الذي يشنّه من خلاله قصة فرعون مع موسى عليه السلام بحالة الاستعمار الفرنسي مع الشعب الجزائري ، وهي حالة واحدة قائمة على الظلم والاستبداد والجبروت ، مع ترك الانطباع لدى القارئ على أن العاقبة للحق لا للقوة.

و يتناص الكاتب في قوله: « فتعالوا يا قوم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن نتعاون على تحرير الأديان ، ثم لكم علينا أن نتعاون على ما فيه خير للإنسان » [18] .مع قوله تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » [19] والكلمة تطلق على الجملة المفيدة " سواء بيننا ..... أي عدل و انصاف. "

ويقترب التناص هنا من الاجترار الذي تتشاكل فيه اللغة بوساطة الاقتباس الحرفي لأي القرآن الكريم مع إحداث تغيير طفيف فيها للتعبير عن رغبة الكاتب في دعوة المحتل ضرورة تحكيم العقل والضمير في تعامله مع أبناء الشعب الجزائري.

ويظهر التناص جليًا في حديث الكاتب عن معهد ابن باديس، إذ يقول : " فللمعهد نظامه الصارم في تربية أبنائه على الدين وفضائله ، وليخسأ كل أفاك أثيم." [20]

فقد ورد التناص جزئيا حيث اعتمد على اقتباس حرفي لجزء من الآية القرآنية " هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم " [21] مع تغيير في بعض الدوال ليصبح الخطاب دالًا على مخاطب معاصر يحمل العداوة والخصام لمشاريع الجمعية وأعمالها الخيرية، وليس أبا جهل الذي يروي عنه التاريخ وتحدثنا به كتب السيرة.

ويواصل الكاتب استلهامه من القرآن الكريم متحدثا عن مأساة الثامن ماي التي أثرت في نفسيته واستولت على فكرته نظرًا لحضورها القوي في ذاكرته فيقول : أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب كما حلت بغيرها، و ذاقت لباس الجوع و العري والخوف... والنص القرآني الذي اشتغل عليه الكاتب هو قوله تعالى : " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" [22] . ولعل أن يكون المعنى الذي أنتجه التداخل النصي هو الدرس والاعتبار من تاريخ الأمم والجماعات. ذلك أن ما أصاب الشعب الجزائري إبان الثامن ماي المشؤوم هو

نتيجة طبيعية لبعده عن هدي الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويمكن أن نلحظ كيف حور الكاتب هذه الآية فأضاف إليها كلمة " العُري " إمعانا في الأزمة الحاصلة ، وتعميقًا لها .

وفي السياق نفسه ، نسجل تناصًا في قوله : " ثم ارجع البصر في الدنيا و قوانينها التي يسوسنا بها الاستعمار ، تجد ذلك المعنى لائحًا في كل حرف منها ، فائحًا في كل كلمة من كلماتها " [23] وذلك من خلال استحضار النص الغائب والتعامل معه بطريقة الامتصاص للآية القرآنية : " ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ " [24] يمتصها دلاليًا للتعبير عن استيائه من القوانين الفرنسية الجائرة التي تصرف بها شؤون الجزائريين ، وترفع لها شعارات جوفاء زائفة لا حقيقة لها في الواقع.

وأما عندما ينتقل الكاتب إلى الحديث عن السياسة الفرنسية في الجزائر ، فإنه يتفاعل مع النص القرآني ويستنصص آياته فيقول : " وأنها تعد وتمني وما تعد إلا غرورًا . "[25] مقتبسا ذلك من قوله تعالى : " يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. " [26] ويشير من خلال هذا التناص إلى عواقب الثقة بالوعود الكاذبة للحكومة الفرنسية ، ويستشف القاري دلالة هذا التفاعل النصي حينما ترتسم في ذهنه صورة فرنسا كشيطان يحاول أن يستدرج ضحاياه إلى الهلاك فوجب الحذر منه.

وفي موضع آخر نقرأ له هذه العبارة " وجاءت فرنسا بالخاطئة "[27] لتلتقي مع قوله تعالى : " وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ "[28] فالكاتب يستحضر هذه الآيات من سورة الحاقة وما توحي إليه من حقائق تاريخية تثبت صدق الرسالة المحمدية. ثم يتجاوز سياقها الزمني و يلبسها دلالات معاصرة تتضمن تهديدًا للمحتل وتحذيرًا له من عاقبة الطغيان.

ويظهر التقاطع النصي واضحًا في حديثه عن الأحزاب في الجزائر ، فيقول: وإن في صفوفكم دساسين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد ، وإنكم لتعرفونهم بسماهم وتعرفونهم في لحن القول[29] . " ليتداخل مع النص القرآني في قوله تعالى : " وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ " [30] فالتداخل النصي إنما جاء على شكل توظيف جزئي لهتين العبارتين ' سماهم " و" لحن القول " مع استبدال وإعادة انتاج للآية السابقة التي تمثل النص الغائب من خلال

علاقته التناصية مع النص اللاحق لتوليد الدلالة الجديدة التي تفضح المنافقين وتكشف صفاتهم .

وبالمنطق السياسي نفسه يتعرض الكاتب لشخصية بارزة في المجتمع الجزائري، استطاع العدو الفرنسي أن يستميلها إليه لتنفيذ خططه ، و الخضوع لأوامره ، إنه العاصمي الذي تناوله الإبراهيمي بأسلوب ساخر حاد ، جاء فيه : " إن العاصمي لا ينطق عن هواه وإنما ينطق عن وحي ساداته ومواليه" [31]. ومن الجلي أن النص القرآني الموظف هنا هو قوله تعالى : " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى "[32] فهو يعبر من خلال هذا التناص عن درجة الانصياع والانقياد للمحتل.

وفي موقف آخر ، نرصد تناصًا في قول الكاتب : " ويومئذ يستيقنون أن هذه الحكومة كانت تغري بيننا العداوة والبغضاء لمصلحتها لا لمصلحتنا جميعا ، ولا لمصلحة فريق . "[33] ويتضمن هذا النص دلالات من قوله تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ. " [34] يستحضرها الكاتب و يُدمجها في خطابه قصد إثراء مضمونه وتجسيد حالة الضياع والفوضى التي كان يعيشها أفراد الشعب الجزائري مع المحتل البغيض (الشيطان) الذي كان يعمل على تعميق الخلاف وزرع بذور الشقــاق بينهم الإضعـــاف قوتهم ، وإسكات أصواتهم المطالبة بالحق .

ويستلهم الكاتب دلالات النص الغائب (القرآن الكريم)، في سياق حديثه عن سياسة فرنسا الهادفة إلى تجهيل الأمة وحرمان أبنائها من حقهم في التعليم ، فيقول : "فأفسد الاستعمار أخلاقهم ، ووهن عزائمهم، و فرق بين أجزائهم لئلا يجتمعوا، وقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم لئلا يذكروا ، وضرب بينهم وبين العلم بسور له باب . "[35] فالنص يدين بما ينطوي عليه من دلالات لقوله تعالى : "فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ "[36]. ويتناص معها عن طريق امتصاص مضمون الأية وتغيير دوالها لتوليد دلالات جديدة تعكس تجربته الفنية، وتعبر عن أدبه المقاوم.

كما نجد أن التعامل مع النص القرآني فنيًا ، قد تم على وفق مستويات تناصية مختلفة تراوحت بين الاقتباس الحرفي أو الاجترار لدوال النص الغائب بشكل نمطي ثابت يفتقد إلى الحيوية والتفاعل في إنتاج الدلالة ، والتناص

الامتصاصي الذي يتواجد خلال امتصاص مضامين الآيات القرآنية ودوالها و إعادة نشرها في النص الحاضر ، ويعتبر هذا المستوى أعلى درجة من سابقه ، وخطوة متقدمة في النضج الإبداعي والفني لدى الأديب .

2.5. التناص الشعري:

يتسم الخطاب المقالي عند الإبراهيمي بانفتاحه على الموروث الشعري العربي قديمه وحديثه ، ذلك أن الشعر يمثل جزءا مهما من ثقافة الكاتب الأدبية ، فقد اشتهر بحافظة قوية ساعدته على استحضار النصوص الغائبة داخل النص بغرض تعميق إيحاءاته، وإعطائه أبعاد جديدة عن طريق الاجترار والامتصاص والحوار بحيث تندمج هذه النصوص مع نص جديد حافل بالدلالات والمعاني.

بيد أن السعي إلى دارسة كل النماذج التناصية الشعرية التي يتوفر عليها مقال الإبراهيمي والإلمام بها ، مهمة شاقة نظرًا لغزارة مادتها. لذلك فإنه يكون من الأحسن الاقتصار على ذكر بعض منها بغية استنطاق النص الغائب والوقوف على أدبية التشابك الحاصل بينه وبين النص الحاضر ، ومن ذلك قول الكاتب : « بعد أن نام الاستعمار ملء جفنيه ، اطمئنانا إلى أن القضية (فصل الدين عن الحكومة) تمت كما يريد ويتمنى » [37]ويبدو أن النص هنا يتعالق مع قول المتنبي :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم[38]

فأبو الطيب لم يكن يكترث كثيرا لما كان يقوله ، بينما كان المعجبون به من القراء يعنتون أنفسهم ابتغاء فهم قصدية كلامه في أبيات معينة ، فكان « يعوج عليهم وهم مختلفون من حول شعره فيبتسم مزهوا ... ولعل ذلك هو الذي حمله على أن يقول بيته الشهير»[39] ويتجلى التناص في اجتزاء لبعض دوال النص الغائب واستحضارها بطريقة الحوار وتوظيفها في سياق أخر يكون فيه التداخل قائما على أساس الامتصاص اللغوي والمحاورة الدلالية . فقد لجا الكاتب إلى استمداد الدلالات الشكلية من النص السابق و عمد إلى تحويرها والنأي بها عن سياقها الأصلي للتعبير عن سعادة فرنسا بعد استفائها لمشروعها الدنيء المتعلق بفصل الدين عن الحكومة ، ومن ثم استطاع أن ينقل النص الغائب من ضيق حيزه الدلالي إلى سعة النص الحاضر المفعم بروح النضال والتحدي واليقظة المستمرة لإحباط كل محاولات المحتل ومخططاته الهادفة إلى تقويض الدين الإسلامي في الجزائر.

ويواصل الكاتب الاغتراف من معين المتنبي الذي طالما تأثر به وأعجب بشخصيته وعبقريته فيقول: « ويحكم أحيوا العدل وانشروه ، و أميتوا الاستعمار واقبروه ... فإن لم تفعلوا فأيقنوا أن كل ما تنفقونه من جهد ووقت ومال في تمكين الاستعمار الضائع، ولا الحمد مكسويًا ، ولا المال باقيا. »[40] ونجده يستحضر هنا قول المتنبي:

إذا الجود لم يُرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[41]

حيث أعاد كتابة عجز البيت الشعري ونثره مع إحداث تغيير في دواله ، و توظيفها في سياق مماثل يعبر من خلاله عن القيمة الحقيقية للمال والجاه في كنف العدل والحرية.

وإذا توجه خطاب الإبراهيمي إلى العلماء - وهم ورثة الأنبياء في هداية الناس إلى الحق والعدل - فإنه يستعمل لهجة قوية وعنيفة تنم عن تذمره وسخطه على الذين هانوا ضعفوا أمام المحتل ، فسخروا دينهم في خيانة الدين والوطن فيقول : « وأهان العلماء أنفسهم ، فسهل الهوان عليهم ، فأصبحوا أذل من وتد بقاع ، وصاروا عبيدًا وخولا لهؤلاء المبتدعة الضلال [42]، والنص الغائب المستغل عليه هو بيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام[43]

ويتضح أن التفاعل النصي الحاصل تجلى في شكل اجتراري حيث تم تحويل النصي السابق ومحاكاته على مستوى البنية الشكلية و المضمونية مع إفراز بعض الدلالات الجديدة التي أملاها السياق.

كما يستحضر الكاتب دوال شعر زهير بن أبي سلمى ويوظفها في نصه الحاضر للتعبير عن رفضه لسياسة الاندماج و الذوبان في الآخر ، يقول الإبراهيمي : « أما آن لعشاق سلمي أن يقولوا : صحة القلب عن سلمى ؟ أما آن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام ؟»[44] يقول زهير في النص الغائب:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله *[45]

ويؤكد الكاتب تواصل نصه المقالي مع نصوص التراث الشعري ودلالاتها التي تقوم على علاقة اندماجية في خطابه المعبر عن مواقفه الثابتة إزاء قضية وطنه

وشعبه ، حيث يشير في قوله : « أما الطبيب الاستعماري بالنسبة إلى المسلمين فكأنما جاء ليداوي علة بعلل ... مما جعل الجزائر - إذا استثنينا الحواضر - بستان المشمش في نظر ابن الرومي .»[46] إلى قول ابن الرومي:

إذا ما رأيت الدهر بستان مشمش فأيقن بحق أنه لطبيب

يغل له ما لا يُغل لربه يُغل مريضا حمل كل قضيب

ويبدو أن الكاتب قد استحضر الحمولة الدلالية للنص الغائب إشاريًا ، وذلك بدعوة القارئ إلى العودة إلى الشاعر وإلى قضية من القضايا كان أثارها في شعره مما يسهم في تغذية ذاكرة القارئ وتنشيطها ، ويحفز على امتلاك الأداة المعرفية الضرورية لقراءة الأثر الأدبي وتأويله.

ويتداخل نص الكاتب مع النص الغائب تداخلًا جزئيًا معتمدًا على الامتصاص وإعادة التشكيل وفق منظور نضالي يسمح بتقديم نص جديد . مثل قوله : « أما الأمد فقد طال مائة و عشرين سنة فتناسى أولنا ولم ينس أخيرنا، وما زاد طول العهد إلا تذكرا ويقظة و استمساكًا بالحبل على طوله وامتداده »[47] حيث يقتنص الكاتب بعض دوال معلقة النابغة الذبياني ويحدث التماسًا بينها وبين نصه المنجز . يقول النابغة في مطلع معلقته :

يا دار ميّة بالعلياء فاستند أقوت وطال عليها سالف الأمد [48]

وما يحيل عليه النص الجديد هو أن الزمن مهما طال مع الاحتلال ، فإنه لا يؤثر على علاقة الشعب بوطنه أو إضعاف صوت الحق و المطالبة به.

ولما بلغت نفسية الكاتب أوج توترها نتيجة فشله في تحقيق بعض مطالبه ، ألفيناه يستدعي شعر عمرو بن كلثوم لأنه يجسد لحظة شعورية متميزة تطابق الحال ، فيقول: « ولا يقعدنا عنها سكوت الساكتين ولا تخذيل المخذلين ، ولا جهل الجاهلين بقيمتها

و بالآثار السيئة التي غرستها في الأمة" [49] . ويظهر التناص جليًا من خلال تشربه لبعض دوال بيت معلقة عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا [50]

وإسقاطها على النص الحاضر لتأكيد تقاطع التجربة الفنية بين الشاعر الجاهلي والكاتب مع اختلاف في الزمان والمكان والحدث.

وحين أراد تصوير حالة الأحزاب الجزائرية وما سادها من خلافات وانقسامات أدت إلى ضعفها وذهاب ريحها أمام المحتل المتربص ، وجد الكاتب في التراث الشعري لأحمد شوقي مادة خصبة لإثراء لغته وملامسة الواقع بكل مرارة

وصدق ، إذا يقول: «... و كيف وأنتم مع الخلاف يكفر بعضكم ببعضا ، ويلعن بعضكم بعضا.» [51] وهو تداخل قائم على طريقة الامتصاص والاجتزاء لدوال شعر أحمد شوقي في قوله:

الام الخلف بينكم إلامَا ؟ وهذي الضجّة الكبرى علاما ؟ [52]

ويبين هذا التداخل النصي الطبيعة الفنية الراقية للنص الغائب الغني بالنماذج الشعرية العالية ، و التي سجلت حضورها المكثف في النص الجديد ، مثيرة دلالات أخرى تحمل بصماتها وأبعادها.

كما تميزت هذه الظاهرة بتعدد أشكال استحضار النص الشعري ، من استحضاره مباشرة مع ذكر القائل أو دون ذكره في الغالب ، إلى الاستحضار الإشاري أو التلميحي الذي يعتمد على معرفة المتلقي ومدى اتساع ثقافته ، ذلك أن المعرفة هي أساس القراءة والتأويل .

6. خاتمة

أفضت بنا دراسة التناص في أدب الإبراهيمي إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها فيما يلي:

- ❖ مقالات الابراهيمي جاءت مفعمة بالتناص القراني والأدبي لكونه متشبعا بالثقافة الادبية والدينية ليقنع القارئ بأفكاره ويشعره بالراحة عند القراءة فهو يحقق المتعة واللذة للمتلقي عبر جماليات تلك الناصات التي خدمت الإنسان والمجتمع.
- ❖ ظاهرة تداخل النصوص التي طبعت خطاب الإبراهيمي ، أكدت على تعلق الكاتب بالموروث الشعري العربي قديمه و حديثه ، ومدى إفادته منه من خلال استعماله في علاقات تناصية جعلته حاملا لمعان معاصرة تجسد البعد النضالي الذي شغل حيزًا كبيرًا من فكره وأدبه ووجدانه ؛
- ❖ توضح من خلال دراسة مقالات الإبراهيمي اللغة البسيطة الواضحة حيث كانت في متناول جميع الطبقات اضافة الى جمال الصياغة وحسن التعبير عن الفكرة.

7. قائمة المراجع :

1. القرءان الكريم

2. ابن الرومي، ديونه . شرح محمد شريف سليم - دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، أغفل التاريخ و الطبعة ،ج 1
3. جمال مباركي ، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، م. س .
4. زهير بن أبي سلمى ، ديونه - شرح و تقديم علي فاعور - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 .
5. سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط 8 ،دار الشرق القاهرة.
6. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، د.ط ، 2007 ، دار الأمة للطباعة والتوزيع ، برج الكيفان
7. صالح بلعيد، الإبراهيمي فارس اللغة والبيان، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، 2009،الجزائر .
8. عبد العزيز شرف،فن المقال الصحفي ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،د.ط، 2000،
9. عبد اللطيف السيد الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، د.ط ، جوان 2009 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر .
10. عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة - تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية - دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003
11. عمرو بن كلثوم ، ديوانه - تح : رحاب عكاوي - دار الفكر العربي ، بيروت 1996، ط1،
12. لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، 1996 بيروت
13. محمد عزام، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب ، منشورات وزارة الثقافة، ط 1 ، 1996.
14. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار الثقافة ، ط4 ، 1966م ، بيروت .
15. النابغة الذبياني ، ديوانه - شرح وتقديم عباس عبد الستار - دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2004 .

8. الهوامش :

1- النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، ط1996م، ص148.1
2 - سورة مريم ،الأية 4.
3 – سورة النساء ، الأية 33.

4 – لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، 1996 بيروت ص 663 .
5 – محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار الثقافة ، ط4 ، 1966م ، بيروت ، ص 93-94.
6 – سيد قطب النقد الأدبي أصوله ومناهجه ط 8 ،دار الشرق القاهرة ص106.
7 – محمد يوسف نجم ،فن المقال ،ص95.
8 – عبد اللطيف السيد الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، د.ط ، جوان 2009 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 39 .
9 – الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، د.ط ، 2007 ، دار الأمة للطباعة والتوزيع ، برج الكيفان ، ص 370.
10 - المصدر السابق ، ص 371 .
11 – سورة الأنعام،الآية 49..
12 – محمد يوسف نجم ، فن المقالة، ص102.
13 – عبد العزيز شرف ، فن المقال الصحفي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،د.ط، 2000، ص23.
14 – صالح بلعيد،الإبراهيمي، فارس اللغة والبيان، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، 2009،الجزائر ، ص55.
15 – ينظر: جمال مباركي ، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، م. س ، ص 167 |
16 – محمد البشير الإبراهيمي ، الأثار - عيون البصائر - م. س، ص173
17 – سورة غافر، آية 37
18 – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، م. س، ص 180.
19 - سورة آل عمران، آية 64
20 - محمد البشير الإبراهيمي، م.ن، ص 216. وقود
21 - سورة الشعراء، آية: 222
22 - سورة النحل ، آية 112
23 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 139
24 - سورة الملك ، آية 4 .
25 - محمد البشير الإبراهيمي ، م . ن ، ص 423 .
26 - سورة النساء ، آية 120.
27 - محمد البشير الإبراهيمي ، م، ن، ص 302 .
28 - سورة الحاقة ، أية 9 .
29 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 101.
30 - سورة محمد ، آية 30
31 - محمد البشير الإبراهيمي ، م. ن، ص 139 .
32 - سورة النجم ، الآيتان 3و4.
33 - محمد البشير الإبراهيمي ، م. ن، ص 469 .
34 - سورة المائدة ، آية 91 .
35 - البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 188 .
36 - سورة الحديد آية 13 .

37 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 145 .
38 - المتنبي ، ديوانه ، م. س، ج 4، ص 84 .
39 - عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة - تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية - دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003، ص 196 .
40 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 373 .
41 - المتنبي ، ديوانه ، م. س ، ج 4، ص 419 .
42 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 310 .
43 - المتنبي ، م ن ، ص 217 .
44 - محمد البشير الإبراهيمي ، م . ن ، ص 288 .
45 - زهير بن أبي سلمى ، ديونه - شرح و تقديم علي فاعور - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 2003 ، ط1، ص 88
46 -- ابن الرومي، ديونه . شرح محمد شريف سليم - دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، أغفل التاريخ و الطبعة ، ج. 1، ص 513.
47 - محمد البشير الإبراهيمي ، م . ن ، ص 142
48 - النابغة الذبياني ، ديوانه - شرح وتقديم عباس عبد الستار - دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 2004 ، ط1، ص9
49 - محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، م . س ، ص 158.
50 - عمرو بن كلثوم ، ديوانه - تح : رحاب عكاوي - دار الفكر العربي ، بيروت 1996، ط1، ص 85.
51 - محمد البشير الإبراهيمي، م، ن، ص 67.
52 - أحمد شوقي ، ديوانه ، م . س ، ص 221.